

الإحالة النصية

Textual reference (Endophoric)

لعور موسى¹*

¹ جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريرج - moussa.laaouar@univ-bba.dz

تاريخ الارسال: 2020/02/01 تاريخ القبول: 2021/07/15 تاريخ النشر: 2021/12/30

الملخص:

تقدم لسانيات النص تعريفات مختلفة لمفهوم الإحالة، حيث يعرف الكثير الإحالة على أنها العلاقة الموجودة بين التعبيرات اللغوية وما تمثله في العالم (أو عالم الخطاب) في مناسبات معينة من الكلام، ويصفونها بأنها فعل يستخدم فيه المتحدث أو الكاتب أشكالا لغوية لتمكين المستمع أو القارئ من تحديد شيء ما: الأحداث ، وما إلى ذلك في النص، تشير الإحالة بطريقة أخرى أيضا إلى عنصر مشارك أو مقام يمكن استرداد هويته باستخدام الضمائر أو ضمائر توضيحية ...

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، الإحالة النصية، الاتساق.

Abstract:

Linguistics provides various definitions of the concept of reference. Lot of them defines reference as the relation that exists between Linguistic expressions and what they stand for in the world (or the universe of discourse) on particular occasions of utterance. and they describe it as an act in which a speaker, or writer, uses linguistic forms to enable a listener, or reader, to identify something. To quote Baker, reference is a device which allows the reader/hearer to trace participants, entities, events, etc. in a text. in another way reference refers to resources for referring to a participant or circumstantial element whose identity is recoverable using pronouns or demonstrative pronouns...

keywords: textual linguistics, textual reference, coherence.

توطئة:

إنّ خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، والذي يكون "متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، كأنّه أفرغ إفراغا وسبك سبكا واحداً"¹

من هذا المنطلق اهتمت لسانيات النص بالسبك *Cohésion* وذلك بوصفه أحد المعايير المهمة المحققة لنصانية النص، فهو يعنى "بالكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية - في النص - بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق"² أو هو "يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص *Surface* *texte*، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكّل نصّاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكيونته واستمراريته، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي *Grammatical dependency*"³

ولعل أبرز الوسائل المحققة للاتساق (السبك-الاعتماد)؛ عنصر الإحالة، حيث اهتم به علم اللغة النصي تمحيصاً وتفصيلاً وتأملاً، وذلك من حيث كونه أكثر الأدوات دورانا في لسانيات النص، فهو يأتي على رأس السبك النحوي في مقابل المعجمي. ومهما يكن من أمر، فإننا نقصر وكدنا على هذه الوسيلة النصية في مداخلتنا، متعاورين إياها من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية مبرزين أثرها الجمالي وبعدها الدلالي.

- الدلالة اللغوية للإحالة:

الإحالة مصدر الفعل (أحال) ويحمل هذا الفعل معنىً عاماً هو التغيّر والتحوّل ونقل الشيء إلى الشيء. جاء في لسان العرب لابن منظور: «حال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع... وحال الشيء نفسه يحول حولاً بمعنيين: يكون تغيّراً ويكون تحوّلاً، وحال فلان عن العهد، أي زال... وفي الحديث من أحال دخل الجنة، يريد من أسلم لأنّه تحوّل من الكفر عمّا كان يعبد إلى الإسلام»⁴

وجاء في تاج العروس: «أحال الشيء: تحوّل من حال إلى حال، أو أحال الرجل:

تحوّل من شيء إلى شيء»⁵

الإحالة النصية

ولم يبتعد هذا المعنى عما ورد في المعجم الوسيط: «أحالت الدار: أي تغيرت، وأحال الشيء أو الرجل تغير من حال إلى حال، وأحاله نقل الشيء إلى غيره»⁶ من خلال المعاني اللغوية السابقة نستنتج:

- الإحالة تغير وتحول في الاتجاه إما إلى الأمام أو إلى الخلف داخل النص، وقد يكون الانتقال إلى خارج النص
- الإحالة تجمع عناصر التخاطب، إذ إنها علاقة بين عنصرين لغويين، أو أحدهما لغوي والآخر خارجي، ويتم بقصد المتكلم/ الكاتب، لتساهم في ربط أجزاء النص وتماسكه، كما تخلق للمخاطب/ المتلقي ينقل من خلالها لفك شفرات النص.

- الدلالة الاصطلاحية للإحالة:

الإحالة مصطلح سيار في الدراسات النصية قديمها وحديثها، لذا تراكمت وتراكبت تعاريف الإحالة في التراث اللغوي، إذ لا نعثر لها عن تعريف موحد، بيد أنها لا تخرج عن المعاني الاصطلاحية الآتية:

- يعرفها براون ويول بأنها: «العلاقة بين الأسماء والمسميات، هذه الأسماء تحيل إلى المسميات وفق علاقة دلالية تقضي بتطابق وتمائل المحيل والمحال إليه»⁷
- يرى شتراوس في تعريف له نقله عن براون ويول بأن الإحالة هي: «ما يحيل عليه المتكلم أو الكاتب عندما يستعمل تعبيراً ما»⁸
- يعرفها دي بوجراند بأنها: «العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»⁹
- الإحالة هي: علاقة عنصر لغوي بآخر لغوي أو خارجي، بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني¹⁰

وهي كذلك: علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل: الضمير واسم الإشارة واسم الموصول... إلخ، حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية¹¹

- أنواع الإحالة:

الإحالة إحالتان؛ إحالة نصية وأخرى مقامية، وذلك بالنظر إلى موقع العنصر الإشاري من النص، إذا كان داخل النص أو خارجه، ثمّ موقع هذا العنصر بالنسبة إلى اللفظ المحيل؛ أي إذا كان هذا الأخير قبله أو بعده.

فالإحالة " تنقسم إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية والإحالة النصية، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية"¹²

من هذا المنطلق؛ فإنّ مشغل ورقتنا البحثية يأتي ضمن إطار "الإحالة النصية" دون سواها وذلك من خلال شقيها البعدي والقبلي.

• الإحالة النصية:

أو الداخلية أو داخل اللغة، هي "إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة"¹³ فهي تنقسم إلى قسمين:

- إحالة قبلية (على السابق - بالعودة - الإضمار بعد الذكر): هي " أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام"¹⁴ فيها يسبق العنصر الإشاري العنصر الإحالي، فهي "تعود إلى مفسّر سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمّر، وليس الأمر كما استقر في الدرس اللغوي إذ يعتقد أنّ المضمّر يعوض لفظ المفسّر المذكور قبله، فتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض أن يكون عليها، فهي تحليل جديد له من حيث هي بناء جديد له"¹⁵

- إحالة بعدية (على اللاحق): هي التي "تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها"¹⁶

• وسائل الإحالة:

تعتمد على جملة من الوسائل المحققة للاتساق، هذه الوسائل أطلق عليها هاليداى ورقية حسن مصطلح "أدوات" لا نعتد في فهمنا لها على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر¹⁷، وأطلق عليها دي بوجراند "الألفاظ الكنائية"¹⁸ وأطلق عليها الأزهر الزناد "العناصر الإحالية"، عاذا إيّاها من المعوّضات، حيث أشار إلى أنّها

الإحالة النصية

تأتي تعويضا عن وحدات معجمية، يمكن أن نطلق عليها مصطلح "العنصر الإشاري"¹⁹ وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن. ثم إن العناصر الإحالية تنقسم إلى: الضمائر- أسماء الإشارة- الأسماء الموصولة.

1. الضمائر:

الضمائر جمع ضمير، والضمير هو السرّ، والشئ الذي تضره في قلبك، والضمير والمضمر بمعنًى واحد، من أضمرت الشئ أخفيت²⁰. والضمائر هي الأصل في الربط بين الأسماء. بناء على هذا تعددت مقاربات علماء النص بخصوص دور الضمير في تحقيق السبك النحوي شكلا ودلالة، فهو على قدر من الأهمية، لكونه يحيل إلى عناصر سابقة عليه، أو سبق التلفظ بها في النص، لذا نلني هاليداي ورقية حسن يضربا أمثلة كثيرة لدور الضمير في تحقيق الاتساق، وذلك عن طريق مرجعيته²¹، من ذلك:

أ- محمد انتقل إلى منزل جديد

ب- منزل محمد جميل

ت- هذا المنزل الجديد لمحمد

ث- هو (محمد) بناه (المنزل) منذ عام.

فالضمير (هو) في الجمل (ث) عائد إلى مذكور (محمد) في الجمل الثلاثة السابقة، والهاء الملتصقة بالفعل (بناه) تعود إلى المنزل المذكور في الجمل الثلاثة. فهذه المرجعية قد حققت تماسكا في الجمل الأربع، كما أسهم الضميران في عدم تكرار الاسمين. ومهما يكن؛ فالضمائر تنقسم إلى: وجودية وملكية. فالوجودية تنقسم إلى: ضمائر للمتكلم أو للمخاطب أو للغائب، والملكية لها التقسيم ذاته.

وسواء أكانت الضمائر وجودية أو ملكية؛ فإنّ المحيلة إلى المتكلم أو المخاطب تحيل إلى شيء خارج النص، كالضمير "أنا" أو "نحن" فإنه يصدق على ذات خارج النص، وكذلك عندما يخاطب الكاتب المتلقي فيستخدم الضمير "أنت" أو "أنتم" فإنه يحيل إلى مجموعة من الناس هم خارج النص، ولهذا لا يعول النصيون على هذه الضمائر في عملية الاتساق النصي، وإتّما يعولون كثيرا على ضمائر الغياب التي تحيل غالبا إلى

موسى لعور

شيء داخل النص، وتكون إحالة نصية، ومن ثمّ تجبر المتلقي على البحث عمّا يعود عليه الضمير، فتؤدي بذلك دوراً هاماً في تماسك النص²²

بناءً عليه: تعدّ ظاهرة التسلسل الضميري بوجه خاص شرطاً من الشروط النحوية الأساسية لتماسك النص، ومن ثمّ يعرف النص بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض من خلال تسلسل ضميري²³

كما ينقل محمد الشاوش تصنيف هاليداي ورقية حسن للضمائر وذلك بحسب دورهما في عملية التخاطب إلى:

- ضمائر لها دور في عملية التخاطب خاصة بالمتكلم والمخاطب، وبالتالي فهي ذات إحالة مقامية، لادور لها في تحقيق تماسك النص، وقد تكون عرضاً ذات إحالة مقالية، تساهم بشكل كبير في تحقيق الترابط والتماسك
- ضمائر الغائب لا دور لها في عملية التخاطب، وهي عناصر ذات إحالة مقالية تساهم في تحقيق الترابط، وقد تكون ذات إحالة مقامية، وبالتالي يبطل دورها في تحقيق الاتساق النصي.²⁴

2. أسماء الإشارة:

تقوم بالربط القبلي والبعدي، لأنها تكون معوضة لما يسبقها أو ممتدة فيما يلحقها، وهي في كلتا الحالتين رابطة بين أجزاء الكلام الواقعة فيه، إذ تساعد المتكلم على اختصار كلامه، وتؤمن استمراريته دون تكرار ممل لبعض الألفاظ، التي تنوب عن بعض الجمل والمقاطع، وبذلك تتجلى للقارئ فاعليتها القصوى في اتساق النصوص.²⁵

3. الأسماء الموصولة:

هي حلقة وصل بين جملتين اثنتين، وتعد من أهم وسائل الاتساق، لأنها تحيل على أكثر من مفردة، وتعوض وحدات معجمية سابقة لها، فتمنع تكرارها بلفظها، وتحافظ على استمرارها في النصوص، مشكلة بذلك تماسك أجزاء النص السابقة باللاحقة، وذلك كأن يذكر شخص في أول الكلام ثمّ يعاد ذكره موصولاً فيقال: ذلك الذي فعل كذا وكذا.

الإحالة النصية

الخاتمة:

- بعد إلقاء عصا الترحال لا يسعنا إلا أن نقرر جملة من النتائج؛ أهمها:
- الإحالة النصية أكثر المناشط حيوية وتحقيقاً للسبك النحوي.
 - بعض الوسائل اللغوية التي تربط عناصر النص، ضمن إطار السبك النحوي هي من باب الإحالة النصية؛ كالحذف والاستبدال، فالحذف علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، فهو إحالة نصية قبلية، أما الاستبدال فهو كذلك عملية تتم داخل النص، إذ إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، فهو كذلك من باب الإحالة النصية القبلية، لذا نرى ضرورة تقليص هذين المنشطين واختزالهما ضمن الإحالة النصية القبلية.
 - عنصر " التكرار " المدرج ضمن السبك المعجمي هو كذلك إحالة نصية قبلية، لذا سمّاه سعيد بحيري بالإحالة التكرارية²⁶

الإحالات والهوامش

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2/ 1960، ج1، ص 67.

² ليندة قيّاس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1/ 2009، ص 23.

³ سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجلد 10، العددان 1-2، 1991، ص154.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955، ص ص 187-188.

⁵ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح علي شيري، دار الفكر، بيروت، د ط/ 2005، مج14، ص160.

⁶ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ص 208-209.

⁷ ب براون وج يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي، ومنير التركي، مطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، 1997، ص 36.

⁸ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- ⁹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 172.
- ¹⁰ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2/ 2006، ص 19.
- ¹¹ أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دط/ دت، ص 13.
- ¹² محمد خطابي، لسانيات النص، ص 17.
- ¹³ الأزهر زناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1/ 1993، ص 118.
- ¹⁴ سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1/ 2005، ص 104.
- ¹⁵ الأزهر زناد، نسيج النص، ص 118 - 119.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 119.
- ¹⁷ أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص - دراسة في الدلالة والوظيفة - ، ص 532.
- ¹⁸ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 320.
- ¹⁹ الأزهر زناد، نسيج النص، ص 115-116.
- ²⁰ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضمـر).
- ²¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص163.
- ²² محمد خطابي، لسانيات النص، ص 18.
- ²³ الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 12.
- ²⁴ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص 126.
- ²⁵ آمنة جاهمي، آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، ص 48.
- ²⁶ سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1/ 2004، ص 244.